AIJLLS | JANUARY 2018 | VOL 2 ISSUE 5
مجلة اللسان الدولية / العدد الخامس (يناير 2018م/ 1438 هـــــ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

إيجابيَّة العنوان والدّلالة العكسيَّة في النَّص، دراسة أسلوبيَّة بلاغيَّة في "منظومة الأزهار" عند أشجان هندي

The Title Positivity and Reverse Connotations in the Text,A Stylistic and Rhetorical Study of the "flowers poem" By Ashjhan Hindi

د. تيسير بنت عبَّاس محمَّد الشريف

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بجامعة الملك عبدالعزيز– جدة

Dr. Taysir Abbas Mohammed Al-Shareef

King Abdulaziz University in Jeddah

heart.smile_33@hotmail.com

ملخص البحث

عتبة العنوان هي مهاد النص الذي يبدو للمتلقّي بادئ ذي بدء، فهو "العنوان" صاحب السُّلطة المسؤول عن الدّلالات الأوَّليَّة التي يتّجه إليها فكر المتلقي؛ إذ يستقطب انتباهه بأصواته وتراكيبه وأبعاده المعرفيَّة، ويُغريه لسبر غيابات النَّص وفضّ دلالاته. والمنظومة المقصودة بالدراسة هنا تجسَّدت عناوينها في بنية أزهار " بنفسجيَّات– ذات الفُلّ– لوحة عبَّاد الشَّمس"، يومئ ظاهرها بالإيجابيَّة والجمال حتى إذا ما ولج المتلقّي أروقتها ورَدهاتها تجلَّى له عكس ذلك عبر دراسة تحليليَّة بلاغيَّة تتمظهر فيها الثنائيَّة الضدّية للدلالات المستنطقة من النّص.فورقة العمل هذي تهدف إلى الوقوف على نماذج من دلالات العناوين وسلطتها على المتلقي، ومن ثمّ إجلاء العلاقة التفاعليَّة بين دلالة العنوان والدّلالة الكليَّة النَّص.

Abstract

The entry of the title is the land of the text that appears to the receiver. First, the "title" has the power and responsibility for the initial connotations towards which the receiver's mind is directed. It draws the receiver's attention by its sounds, structures and cognitive dimensions, and it tempts the receiver to explore the hidden parts of the text and its connotations. The titles of the aimed poem in this study embodied in the structure of flowers "violas – with the Arabian jasmine (dhāt al-ful) – sunflower paint". These titles imply positivity and beauty unless the receiver goes through the poem opposite aspects will appear over a rhetorical and an analytical study, which shows the bi-negative connotations of the text .This paper aims to address examples of the meaning connotations and their effects on the receiver, and then to clarify the interactive relationship between the title connotation and the overall text connotation.

منظومة الأزهار:

بُنيت هذي المنظومة على ثلاث قصائد، أطلقتُ عليها "منظومة الأزهار"؛ لاحتواء عناوينها على دالَّات

الأزهار، وهي حسب ترتيبها في ديوان "ريق الغيمات": "بنفسجيَّات، ذات الفل، لوحة عبَّاد الشَّمس"[1].

القصيدة الأولى: بنفسجيَّات

أولًا: قراءة أولَّية معجميَّة في العنوان

البنفسج: نبات زهريّ من الفصيلة البنفسجيَّة، من ذوات الفلقتين، يُزرع للزينة، وأزهاره عطرة الرائحة. وبنفسجيّ: اسم منسوب إلى بَنَفسج، وما كان لونه لون زهرة البنفسج، أزرق مائل للحمرة.[2]

ثانيًا: قراءة نحويَّة وتركيبيَّة في العنوان

يرتكز العنوان على مكوّن شيئيّ تمظهر في صيغة جمع الإناث الخالية من علامات التَّعريف؛ لتستوعب عددًا لا محدودًا من البنفسجيَّات المماثلة لها في الدّلالة. وربَّما أوحت صيغة الإناث هنا إلى البنفسجة الأنثى ومعاناتها خاصّة.

والعنوان حسب موقعه الإعرابيّ إمَّا خبرًا لمسند إليه محذوف تقديره " هذي"، أو مسندًا إليه والنَّص هو المسند، والحكم في ذلك لا يتأتَّى إلَّا بعد استنطاق دلالات النَّص التي ربَّما أوحت بضرورة تقدير مضاف إليه لتتميم الدّلالة.

ورغم حضور البنفسجيَّات مكوّنًا شيئيًّا إلَّا أنَّه بانفتاحها على دلالات النَّص مروراً بتقنياته المختلفة، من التَّناصّ الأدبيّ، والصّفر اللونيّ، والانزياح التّركيبيّ، والأنسنة، والألوان البلاغيَّة عدلت عن حقيقتها لتُصبح مكوّنًا شعوريًّا فاعلا.

ثالثًا: قراءة دلاليَّة في العنوان وعلاقتها بدلالة النَّص

اللونُ البنفسجيّ الجذّاب هو أوَّل ما يخاطب ذاكرة المتلقي عند تلقّيه العنوان، فتتراءى له حدائق من البنفسجيَّات، وتبعث في داخله مشاعر الراحة والسعادة. ثم لا يلبث هذا اللون إلَّا وقد سُحب دلاليًّا إلى مدار المثاليَّة باستحضار اللون الأفلاطوني المرتبط بالبنفسجي في الذاكرة، وإذا ما استُحضر هذا اللون (الأفلاطوني) تداعت مفرداته اللغويَّة إلى (أفلاطون) ومدينته الفاضلة، ومن ثم إلى المثاليّة؛ فترتفع المثاليَّة ومشاعر الراحة والسعادة النَّفسيَّة في سقف توقّع المتلقّي، وتزداد الدلالات الإيجابيَّة باستحضار زهرات البنفسج بلونها وجمال شكلها وطيب رائحتها.

حتى إذا ما صعد المتلقي إلى درجات النشوة والكمال اصطدم بأوَّل دالّة في النَّص "بالدَّمع" المصاحبة لبدء أوَّل توتر دلاليّ، توالى في "شَرِق البنفسج"، فباغت أفق توقّع المتلقّي ومشاعره الإيجابيَّة، ومن ثَمَّ أحدث فجوة في التَّلقّي على مستوى المفردات اللغويَّة والأبعاد الرُّؤيويَّة في النَّص.

وتتسلسل الدَّالات السَّلبيَّة في متن النَّص، وتزداد مساحة التَّوتّر تبعًا لذلك، وهذه الدَّالات هي: "تكسَّرت- العابثين- فيختفي لون البنفسج- من شفاه العاشقين- يبكي- " ليه يا بنفسج بتِبْهج وانت زهر حزين"- ملّ- يملّ- بكى- يُلام إذا اشتكى- بهجة

[1] أشجان هندي، **ريق الغيمات**، (الرياض: النادي الأدبي- بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 2010م)، ص21، 135، 202. وسأكتفي بذكر كلمة "**الدِّيوان**" فيما بعد للدّلالة على "ريق الغيمات".

[2] انظر: أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج1، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 2008م)، ص249.

الحزن- جُنَّ البنفسج- يشرب حزنه- وحده-يغسل لونه بالدَّمع- يغضب". وقد ارتبطت زهرة البنفسج بالحزن، وربَّما يعود ذلك إلى نظرة التُّراث العربيّ لها نظرة تشاؤم وحزن[3]، وإلى عمر هذه الزَّهرة القصير الذي لا يتجاوز الشهر والنّصف[4].

وللون البنفسجي إيقاعٌ دلاليّ وإيحائيّ في القصيدة؛ فهو يحوي مساحات واسعة من الدّلالات المتضادّة يحددها سياق النَّص، فمن دلالات إيجابيَّة مرتبطة بحدَّة الإدراك والتَّعمّق فيما وراء الطبيعة، والحساسيَّة النَّفسية والمثاليَّة وبراءة القديسين، ورمزيَّته للإلهام والحكمة والعظمة والفخر والتّميُّز، والنَّقاء والطَّهارة والخصوبة والحب والتواضع[5]، إلى دلالات على النَّقيض من ذلك، كإيحائه بالأسى والاستسلام[6]، واعتباره لونًا من ألوان الحداد الذي يعبّر عن الفترة الانتقالية بين الحياة والأزليَّة، وهو لون الشهداء، كما أنَّه يرمز إلى الرُّوحانيَّة مع شيء من الحزن والاكتئاب[7].

وتتآخى هذه الدّلالات المتضادة في ثنائيَّات لا توافقيَّة عبر أنسنة زهرة البنسفج في: (بالدَّمع إذ غنّى)- (دمعٌ راقصٌ)- (بِتِبْهِج وانت زهر حزين)- (بهجة الحزن)- (يرقص وحده، يبكي)- (بكى، والكفّ يعبث فوق دفّ السَّاهرين). فضلًا عن تكرار بعض الدَّالات ترسيخًا للجوهر الدّلالي للحزن: (بالدَّمع (مرتين)/ دمعٌ/ دموعُه)- غنّى (مرتين)- (ملَّ (أربع مرَّات)/ يُمَلّ)- (البنفسج (عشر مرات)/ بنفسج(مرَّتين) بالتّنكير لتعميم كل مَن في دائرة الحزن)، وذلك من خلال أغنية تراثيَّة "ليه يا بنفسج"[8] تكرّر مقطع منها في نسيج النَّص مرتين:

((ليه يا بنفسجْ
بِتِبْهِجْ
وانتَ زهر حزينْ؟))[9].

ومن لطيف هذا النَّص أن تناصَّت بعض مفرداته اللغوية مع كلمات الأغنية، كما يظهر في الجدول:

كلمات الأغنية الشَّعبيَّة	كلمات القصيدة
ليه يا بنفسج بِتِبْهِج وانتَ زهر حزين.	ليه يا بنفسج بِتِبْهِج وانتَ زهر حزين.

[3] انظر: حمودي عبد محسن، **البنفسج الأخير**، <http://www.ahewar.org> استعرض بتاريخ: 27 أكتوبر، 2017م.

[4] انظر: **زهرة البنفسج**، <http://www.omferas.com/vb/t37752/> استعرض بتاريخ: 27 أكتوبر، 2017م.

[5] انظر: صديقة معمر، **شعرية الألوان في النَّص الشعري الجزائري المعاصر فترة (1988-2007م)**، (رسالة ماجستير، قسنطينة: جامعة منتوري، 2009-2010م)، ص109-110؛**البنفسج**، <http://www.ankawa.com> استعرض بتاريخ: 28أكتوبر، 2017م؛ فهد البناي، **"البنفسج.. سر الجمال والجاذبية"**، <http://www.alyaqza.com/fahd-albanai-ba> استعرض بتاريخ: 28أكتوبر، 2017م.

[6] انظر: أحمد مختار عمر، **اللغة واللون**، (القاهرة: عالم الكتب، ط2، 1997م)، ص 185.

[7] انظر: قيصر زحكا، **نحو عالم أفضل/ لغة الألوان**، <http://www.maaber.org/issue/october09/epistemology> استعرض بتاريخ: 26 أكتوبر، 2017م.

[8] الأغنية تراثية من كلمات: محمود بيرم التونسي، ألحان: رياض السنباطي، وغناء: صالح عبد الحي، وهي طقطوقة من مقام راست إنتاج 1930م، <http://arz.m.wikipedia.org/wiki> استعرض بتاريخ: 23 أكتوبر، 2017م.

[9] **الدِّيوان**، ص21-22-24. ومثبتة فيه "وانت" دون همزة تبعًا لنطقها في الأغنية.

والعِين تتابعك وطبعك مِحْتِشِم ورزين.	يدري البنفسجُ أن ستتبعهُ العيونُ إذا تجرَّد من عباءته؛ ...، ملَّ البنفسجُ أن يظلّ –إذا أطلّ على بياضِ الفلّ– زهرًا "مِحْتِشِمْ وِ رَزِينْ".
حَطّوك خميلة جميلة فوق صدور الغيد.	إنْ هُمْ على صدرِ الغواني علَّقوه؛ فعلَّقوهُ.

فالتَّناص هنا تجلَّى أدبيًّا تحرّريًّا، يريد البنفسج فيه الانعتاق من دائرة الحزن، ومن ارتباط اسمه به.

والتَّناص مع الأغنية الشَّعبيَّة تقنية فنيَّة جماليَّة تضيفُ للنَّص بُعدًا جماليًّا ودلاليًّا، وتقود المتلقّي إلى محاولة فهم النَّص الرَّاهن والغائب معا. وهذه القصيدة أفادت من الأبعاد الأيديولوجيَّة والجماليَّة للأغنية التّراثيَّة المشحونة بطاقات دلاليَّة في تناصّها معها للتلميح دون التَّصريح بما يعتمل في الأعماق.

ومن اللافت للنظر كثرة الدَّوال الاسميَّة في القصيدة الدَّالَّة على الثبوت والاستقرار، مثل: "دمع– شفة– البنفسج– راقص– رقْص– عود البنفسج– الراقصين– لون البنفسج– شفاه العاشقين– البنفسج– فوق– عرش جماله"، وقلّة الفعليَّة الدَّالة على الحركة والاستمراريَّة، نحو: "يختفي– يختفي–يبكي"، ومع ذلك فإنَّ المطابقة البلاغيَّة بين "دمعٌ" و "راقصٌ" مَنحت الصُّورة الحراك الرُّؤيَويّ؛ فالدّمع يقتضي البكاء، والرَّقص يدلُّ على الفرح، فضلًا عن دلالة التنوين في اسم الفاعل "راقصٌ" على معنى الفعل المضارع "يرقص" المسهِم في الحركة، ثم إتْباعه بمصدره المنوَّن "رقْصٌ" الدَّال على الاستمرارية بتضامن تنوين دالَّة "دمعٌ" مع ملاحظة دلالة الفعل "رَقَص" على الحركة. فالصّورة الشّعريَّة هنا متحرّكة تتفق وحركة الصّراع بين الدمع والرقص، والحزن والبهجة.

والقصيدة بدأت ببكاء البنفسج الذي اتّفق دلاليًّا مع مقطع الأغنية "ليه يا بنفسج"، وخُتمت بالمقطع ذاته، فكانت بمثابة ومضات تترى في دائرة الحزن والملل من الروتين ومن الاستمرار على وتيرة واحدة، ومن القيود والرَّسميَّات التي يُجبر الشَّخص على اعتناقها من قبل المجتمع، فيخلعون عليه ما يريدون، ويُحرمونه ما يريد (البهجة، والحبّ، والمباح)، ويرفضونه، فيتقوقع في مرارة قيد ذاته الحزينة. وقد تجسَّد ذلك من خلال الأسئلة الروتينيَّة المملَّة المتلاحقة والسَّقيمة، والقيود المفروضة من أوَّل النَّص إلى آخره استفهامًا وبكاء.

فـــــ "الأغنية الشَّعبيَّة / زهرة البنفسج" معادلٌ موضوعيٌّ جسَّد مرارة الواقع وعبَّر عن الذَّوات الإنسانيَّة فيه، وإيقاع هذه الدّلالات لا ينحصر في القصيدة القديمة فحسب وإنَّما مستمرٌّ في بنيات القصيدة الحديثة بصفة عامَّة و"بنفسجيَّات" بصفة خاصَّة.

فالنَّصُّ رامزٌ ببنفسجيَّاته ولغته إلى الإنسان الذي سئِم من روتين الحياة، والنَّظر إليه بمثاليَّة لا تمثّله، ولا يرغب فيها، وإنَّما يتطَّلع إلى تغيير ذاته، وما حوله كيفما شاء بقيودِه الحرَّة، ولكنَّه ما إنْ يصنع ذلك يلقَ الاستنكار والاستهجان من مجتمعه: "ليه يا بنفسج بتبهج وانت زهر حزين"، والمعنى:

المفترض أنْ تكون حزينًا --لماذا ←—— البهجة؟!

المفترض أنْ تكون مثاليًّا -- لماذا ←—— الخروج عن القيود والتمرّد؟!

←

المفترض أنْ تكون مقيَّدًا -- لماذا الحرّيّة؟!

وهذا ما يحكيه نصّ "بنفسجيّات" في ديوان "ريق الغيمات"، صراع الغيمات في حياة الإنسان، ما تمثّله التّرسيمة الآتية:

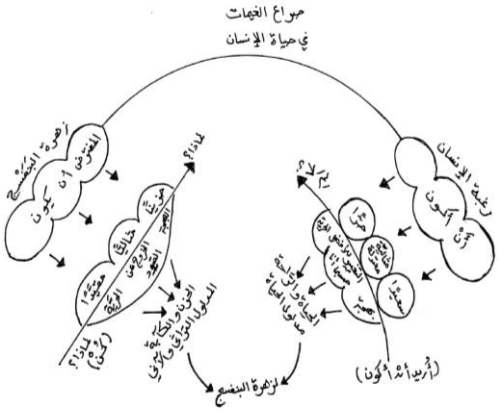

إيقاع دلالة زهرة البنفسج واللون البنفسجيّ في العنوان والمتن:

الإيقاع الدّلالي لزهرة البنفسج وللونها في العنوان يوحي بالإيجابيَّة التي ما لبثت وأن تراجعت سلبًا منذ مطلع القصيدة؛ إذْ بدأت بقمّة التوتر، بالحنين الذي تبعه وصفٌ موجزٌ للنهاية الأليمة لقصة البنفسج "فيختفي لون البنفسج من شفاه العاشقين"، والاختفاء هو عماءٌ للون. ثم يبكي البنفسج بعد أوّل عماءٍ له وهو متربّع على عرش المثاليَّة؛ لحنينه لذاته: "يبكي البنفسج فوق عرش جماله". ويتدرّج النّص في تحوّل اللون من درجة البنفسج إلى درجة الصفر اللوني التي يفقد فيها اللون كينونته؛ وينعدم ويساوي الصّفر تحت تأثير عامل نفسيّ[10] في التركيب الإسنادي: "يختفي لون البنفسج"، و"يغسل لونه بالدّمع" لينتقل إلى مرحلة الترميز، وسيتم توضيح ذلك كالآتي:

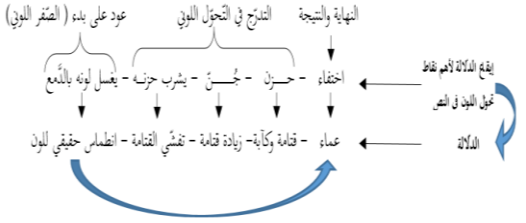

ترسيمة أخرى توضح تحول لون البنفسج في العنوان من الجمال + إلى الحزن — في المتن.

الدّلالة (+) **تحوّل اللون** (–)

العنوان++) متن النّص--

"بنفسجيّات" البنفسجيّ/الجمال انعدام اللون=الصفراللوني/الحزن

القصيدة الثانية: ذاتُ الفلّ

أوّلًا: قراءة أوّليَّة معجميَّة في العنوان

ذات: اسم بمعنى صاحبة، مؤنث "ذو". وذات: نفْس[11]. والفلّ: جمعٌ، مفرده فلّة، وهو نبات من فصيلة الزيتونيات، زهره ذكيّ الرائحة، ونقيّ البياض، وهو أحد أنواع الياسمين.[12]

[10] انظر: أحمد عبدالله محمد حمدان، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، (رسالة ماجستير، نابلس–فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2008م)، ص169.

[11] انظر: أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج2، ص 1274.

[12] انظر: المرجع نفسه، مج4، ص 1743.

ثانيًا: قراءة نحويَّة وتركيبيَّة في العنوان

بدا العنوان مكوّنًا فاعلا، معرَّفًا بإضافته إلى معرفة. و"ذات" مؤنثة أضيفت إلى "الفلّ" المفرد في بنائه اللغوي والدال على الجمع. و "ذات الفل" مبتدأ أسند إليه متن النّص الخبر.

ثالثًا: قراءة دلاليَّة في العنوان وعلاقتها بدلالة النَّص

"ذات الفلّ" عنوانٌ أخّاذ يُقبل عليه المتلقي بطاقة مشحونة بإيجابيَّة نابعة من الكينونة الجميلة للفلّ، ولرديفه اللوني "اللون الأبيض" الباعث في نفسيَّة المتلقي دلالات النَّقاء والصَّفاء، والأمل والتَّفاؤل والتسامح، والصدق والطُّهر والبراءة[13]، وهو من الألوان الباردة الهادئة التي ترمز إلى معانٍ سامية كالحرية والسَّلام والجمال والإشراق. وكان فرعون مصر القديمة يرتدي تاجًا أبيض رامزًا إلى سيطرته على مصر العليا وأنّها تحيا بسلام وطمأنينة، كما أنَّه كان مقدَّسًا لإله الرومان في القديم (Jupiter). ودلالة ذا اللون على الحرية والانطلاق نابعٌ من اجتماع الياء الدَّالة على الاتساع، والضَّاد بدلالتها على النُّفور والإفلات من المركز.[14]

وقد احتفل النَّص في مطلعه بأفانين من المفردات اللغوية المشعَّة إيجابيَّة وطلاقة وبساطة؛ مثل: "ممتلئة النّعمة روحها، طيب، لا تجوع ولا تظمأ، خبز وداعتها، سكر طيبتها". كما أنَّ غالبيَّة دوالّه ناطقة بالرَّائحة العبقة والجمال الدّلاليّ التابع لجمال دالّاته. فلو نثرنا على سبيل المثال دوال النّص الموجبة والسَّالبة في أربعة محاور، نلحظ تفوّق الأولى على الثانية على المستوى الدلالي في الثلاثة المحاور الأولى:

(+) نظام السَّطر		نظام شبه بالنثر (+ - +)
سكر طيبتها خبز وداعتها	لا تَمل طيب ممتلئة النعمة روحها	ناعما الكادي فتاة الفل المبتل مشتعل
لا تحزن لا تجوع طيبتها	لا تُمل	بعبيرانك رائحة صباحها رياحين مباغتة
	رقص لا تظمأ	ابتسامة خجلي عين الشمس فتنة محمومة ملتهب
نظام السَّطر (+ -)		نثر ثم سطر (+ - - - -)
ألق يخجل من فتنتها		أثواب البهجة أناقتها الحليَّة يتعطر عشبة جانة
وجع يلتفُّ بقامتها..		وجعها الصامت يبتلعها وعودك المُلتهبة فاقتها
		العطور العلية تشاغب تغوي تهجرها دون إحسان

أمَّا على مستوى النص الغائب في عُمقِ النسيج اللغوي المتواري ضِمن سُترة الترميز فإنَّ ذاتَ الفُل صامتةٌ حزينة منذ البداية، وقد رفد إيقاع الفضاء النَّصِّي بتشكيلِه البصريّ والهندسِي البُنيَة اللُّغويَّة في سُفُورِ هذا المعنى. فالقصيدة تنقلت بين شكلين هندسيين مختلفين من سطرٍ شعري إلى نظامٍ شبه نثري، فبدأت بنظام السَّطر الشِّعري واصفةً "ذات الفلّ" بصفات إيجابيَّة سبق ذكرها، فاعتراها دَفْقَة انكسار "مُمْتلئة الوَجْعِ ساقُها"، ثم عادت إلى الإيجابيَّة "طافحة برقص طيب- لا تحزن- لا تَملّ- لا تُملّ". ثم اختلف

[13] انظر: خالد محمد الجديع، "**سيمياء اللون في الشعر السعودي المعاصر**"، **مجلة عالم الكتب**، مج29، ع5-6، (دار ثقيف: الربيعان، الجماديان، 1429هـــ)، ص447؛ أحمد توفيق حجازي، **أثر الألوان على العقل والجسم**، موقع توفيق حجازي، <http://tawfekhegazy.yoo7.com/t275-topic> استعرض بتاريخ: 28 أكتوبر، 2017م؛ أحمد مختار عمر، **اللغة واللون**، ص185.

[14] انظر: أحمد حمدان، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، من ص28-ص39، ص38؛ أحمد مختار عمر، **اللغة واللون**، ص164، 165؛ صديقة معمر، **شعرية الألوان في النَّص الشعري الجزائري المعاصر**، ص98-99-103.

الشكلُ الهندسي في المقطع التالي تبعًا لاختلاف الدلالة؛ إذ انتقلت إلى طَوْر الدُّخول في السلبيَّة المتوارية خلف الروائح الجميلة والدّوَال العطريّة " الكادي – الفُل – بُعيثرَانَك – رائحة صباحِها-برَيَاحين" فَضْلاً عن المفرداتِ الهادئةِ "ناعمًا – صباحُها – المبتَل- ابتسامةٍ خجلى".

ومن اللافت للنظر في هذا الشكل الشبيه بالسرد النثري تكرار الدَّالات والدِّلالات، نحو: " يَمُرُّ-تَمُرُّ/ تَقفزُ- يَفزُّ/ صباحُها- صباحِها- صباحُها/ تغرَقُ- يغرَق- تغرقُ/ عينُ الشّمس "مرتين"/ قَلبُهَا "مرتين"/ جَسَدُكَ- بأجسَادِ/ عِرْقَ- بعَرَق/ راقصين– الرقص"، ومنها ما اجتمع حول معنى دلاليّ واحدٍ "حمئة- مُلتهب- مُشتعِل- محمومة"، ومنها ما يعزز السلبية "مُباغتة- فتنة محمومة- تحُط"، فالمقطع هنا تداخلت فيه السّلبية كبداية للخداع والغدر.

ثُمَّ يَعُودُ الشّكل الهندسيُّ نظام السَّطرِ بسطرين، السَّطرُ الأوّلُ منه يُشكِّل بهجةً(+)، والثاني الألم(–). ويتشكّل الفضاء النَّصي بعدها بالشّكل الشّبيه بالنثر، بعد تماهي السلبيةِ والغدرِ والخداعِ بالنَّص مُبتدئًا بـــ"وَجَعُهَا" الموحي بانتقال اللون من البياض إلى السَّواد، ولكنه يستمرُّ في خطاب الجمالِ والإيجاب "يُعلّمُ رُوحكَ كيف يَلبسُ جَسَدُ الحُزنِ العَاري أثوابَ البهجَة، ويتعطَّرُ برائحة الأرضِ الغضَّة حين لا تمرُّ به قافلةُ العُطورِ العالمية"، ثُم يُتبعه بمُوَارة في: "ترُشُّها على خلخالٍ يلبسُهُ مساؤُكَ الرَّاقصُ المتدلِّي من غفوةِ عينِ الشّمسِ". وتبدأُ بعد ذلك سلسلة التّوتُّر الدلالي بحزمةٍ من الأسئلةِ المشكلَة لبُؤرَةِ النص:

أين تذهبُ الشّمسُ حين يبتلعُها الفُلُّ؟

أين يذهبُ الراقِصُون حين يبتلعهم الليل؟

أين تذهب وُعُودُك الملتهبة كساق راقص؟

وكم تبلُغ درجة حرارتِها؟[15]

والمقطعُ الأخير فيه قِمَّةُ الخِداع والاستدراج والمكر:

وأنا أراكَ في كلّ الصور السابقة

تلقي حبة بركة سوداء في بياض قلبها المضطرب،

تحتضن أحزانها

تجلسها على عرش فلّها باطمئنان

تُلبسها خاتما يضُخُّ في قلبها الحياة،

وفي يدها النّعمة،

تعدُها بزواج مستقر،

وبأطفال يتناسلون من ورد الوعد،

ثم تهجرها دونَ إحسان!؟[16]

ومع آخرِ جملة في النّص وسِيمتيْ التعجب والاستفهام "ثمّ تهجُرُها دون إحسان!؟" الصادمَة الأليمَة المحرقة ينتهي النَّص بتأزُّم وتوتُّر دلاليّ صاعد ومستمرّ ما يناقض دلالة العُنوان.

فذاتُ الفُل المخدُوعة المظلومة ذاتٌ حزينة صامتة بسبب ذات خادعة، وقد تحدثت عنها ذات مقهورة عليها من أول النص لآخره. وذات الفل هي مدينة جيزان التي رُبَّما رمزت إلى الأرض ومنها إلى المرأة.

إيقاع دلالة زهرة الفل واللون الأبيض في العنوان والمتن:

[15] **الدّيوان**، ص137.

[16] المرجع نفسه، ص138.

مما لا شكَّ فيه أنَّ إيقاع زهرة الفل بلونها الأبيض في العنوان أشرق أُنسًا في زوايا روح المتلقي، وقد أسهمت دلالات المطلع في ذلك، حتى إذا ما تماهى الخداع والغدر في نسيج النص، تراجعت توقعات المتلقي واصطدمت بالسَّلبية المتوارية في جسد النَّص والتي أسفرت عن ذاتها في نهاية النَّص.

القصيدة الثالثة: لوحة عبادة الشمس

أوَّلًا: قراءة أوليَّة مُعجَميَّة في العنوان

عبَّاد الشمس: دوَّار الشمس، نبات عُشبِيّ من فصيلة المركبات الأنبُوبيَّة الزهر، أزهاره صفراء كبيرةُ الأقراص مُستديرتُها تميلُ مع الشمس، ويُستَخرج من بذورها زيت يستخدم في الطعام.[17]

ثانيًا: قراءة نحوية تركيبيَّة في العنوان

العنوان مُكوّنٌ شَيْئِيٌّ تمثل في مفردات "لوحة- عباد- الشمس"، وبدا معرَّفًا بالإضافة، فـــــ "لوحة" مُؤنثة مُفردة مُعرَّفة بإضافتها إلى عبَّاد الذي بدوره أُضيف إلى الشمس المعرَّفة بـــ"أل" التعريف، والعُنوان مبتدأ أُسنِدَ إليه مَتْنُ النص الخبر.

ثالثًا: قراءة دلاليَّة في العنوان وعلاقتها بدلالة النص

أوَّل ما تستعرضُهُ ذاكرة المتلقي من خبرات في العنوان هو "لوحة عبَّاد الشمس" لفان جوخ[18] الذي صَوَّر لوحةَ الحياة فيها بإطارٍ من مُعاناته يحكي فيها أُسطورة عبَّاد الشمس. وهو إذ اختار زهرة "عبَّاد الشمس" عنوانًا للفكرة المسيطرة عليه، فعُنوان النصّ "لوحة عبَّاد الشَّمسِ" هُنا اختُير لسلطة المخزُون الثقافي للزهرة وصاحبها. وزهرةُ عبَّاد الشمس كزهرة البنفسجيات في إيحائها للمتلقي بجمالِ الحياة وما ينطوي تحتها من دلالاتٍ إيجابية، حتى إذا ما استُبْطِنَ أعماق النص واستُنْطِقت الدلالات الغائبة فيه ظهر عكسُ ذلك وخُيِّبَ أفق توقعات المتلقي.

ويُسفِر هُنا بدايةً عن حُضُورِه الرَّديفُ اللَّونِي لزهرةِ عبَّاد الشمس، فلا ترِدُ هذه المفردة اللغوية إلَّا بمصاحبةِ اللون الأصفرِ لها والصحنِ المستدير لزهراتها. والأصفر لونٌ يَحمِلُ معاني إيجابية، فهو يَهبُ الضَّوْء والدفء والبقاء، ويبعث السرور والابتهاج والإشعاع والتجدُّد والأمل في نفس ناظره، فضلًا عن دلالته على الغيرة، وهو كذلك يرمز إلى الفكر والذكاء والفطنة، ويُستعان به لتقوية القُدرة على التَّصوُّر والتَّخيُّل، وينشّط الجهاز العصبي[19]، ويُمثل كذلك الإشراق والإضاءة والنورانيَّة، ويعدُّ دليلا على البُرءِ والشفاء بعد المرض، فضلًا عن كونه مقدسًا في بعض الديانات

---

[17] انظر: أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج3، ص1449.

[18] لوحة "عبَّاد الشمس" من أشهر لوحات الفنان الهولندي "فان جوخ" الذي كانت حياته الشخصية والفنية سلسلة متصلة من المآسي والتعاسة والإخفاقات والصراعات مع نفسه ومع الناس من حوله، ومع الأمراض النفسية والجسدية التي استمرت معه حتى قضت عليه وهو في السابعة والثلاثين من عمره: انظر: زكريا أحمد، "نافذة على ثقافات العالم"، **مجلة الرافد** (دائرة الثقافة والإعلام الشارقة)، <http://arrafid.ae/194p3.html> استعرض بتاريخ: 3 أكتوبر، 2017م.

[19] انظر: صديقة معمر، **شعرية الألوان**، ص91؛ انظر: حجازي، **أثر الألوان على العقل والجسم**، موقع إليكتروني سابق.

الوثنية إذ كان رمزًا للإله (رع) في مصر وهو إله الشمس.[20]

ومن الملحوظ أنَّ دلالات ذا اللون تُصعّدُ من نفسيَّة المتلقي نحو أُفقِ الإيجابية الذي سرعان ما ينحَدِرُ سلْبًا عند فاتحة القصيدة:

صهيُونِيٌّ:

يَصنعُ قُنبُلةً

ويُواريهَا فِي قبضتِهِ[21]

فالقصيدةُ ارتكزت على لوحتين متوازيتين تركيبًا منسجمتين تضادًّا اعتمادًا على غواية اللغة المفارقة. والرمز وتطابق الدّلالات في عمق نسيج النص اللغوي رسَّخ واقعًا مأساويًّا مستمرًّا يمتاح من ظلم وغدر. فاللوحة الأولى:

صهيُونِيٌّ:

يَصنعُ قُنبُلةً

ويُواريهَا فِي قبضتِهِ

واللوحة الثانية:

عربيٌّ:

يرسمُ قنبلةً

ويواريها في خيبتِهِ

والدّلالات المتضادة (صهيونيٌّ/ عربيٌّ)، (يصنعُ/ يرسمُ)، (قبضته/ خيبته) صادمةٌ أليمة، تدعو إلى التّأمل والتّفكير في البوْن الشاسع ما بين الصّناعة والرّسم والقبضة والخيبة من عميق الدّلالات والإيحاءات.

والمواراة لا يعقبها خير غالبا كما ورد في القرآن الكريم، فتارّةً مع قبضة الصهيون، وأخرى مع خيبة العرب، وكلتاهما نائبة موجعة؛ فما زال العرب يرزحون تحت سوأة نيران تلك القبضة، ويرددون خيباتهم باستسلام. فالقبضة تخفي والخيبة تخفي، الأولى الحقد الدَّفين والطَّمع، والثّانية الانهزاميَّة وقلَّة الحيلة، ولوحة عبَّاد الشَّمس تتسرَّ فيها مكبوتات نفسيَّة غائرة تومئ بعذابات إنسانيَّة.

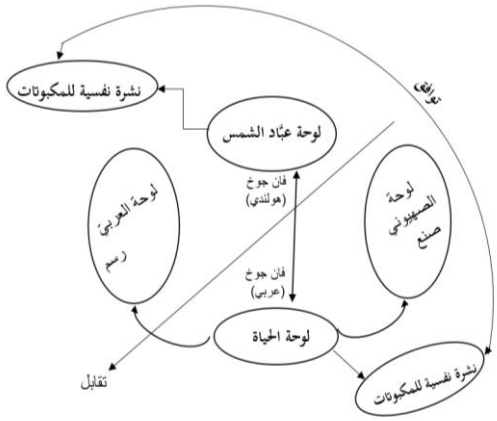

فالتأزُّم الدّلالي لجمال اللوحةِ حدث من أول مفردة لغوية في بنيةِ النَّص-كما حدث في "بنفسجيات"- والاحتفاء بالدلالات الموجبة تراجع بل وانحدر منذ البدء وحتى آخر بنية تركيبيَّة في النَّص: (سجنُوا "فان جوخ" العربيّ بتهمة تقليدِ الفنَّان)، مع تعميقِ عرامةِ الهزل والسخرية بمفردتي المحبة (يهوون- تعشق)، والأسماء (الرسم- مزج الألوان- بتهمة- تقليد) التي أسهمت في تصعيد الدلالات السلبيَّة.

إيقاع دِلالة زهرة عبَّاد الشمس واللون الأصفر في العنوان والمتن:

[20] انظر: حمدان، **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**، ص48-50-51؛ أحمد مختار عمر، **اللغة واللون**، ص163.

21 الديوان، ص202.

الإيقاعُ الدّلالي للزهرة ولونها تجلّى مُكتنزًا بالإيجابيّة التي ما لبثت أن طغى عليها ألم السلبيَّة، والسّجن، والكبت في المتن، فتحوَّل اللون من الأصفر المشرق إلى السَّواد المظلم مُباشرَةً دُون تدريج، كما يتضح في

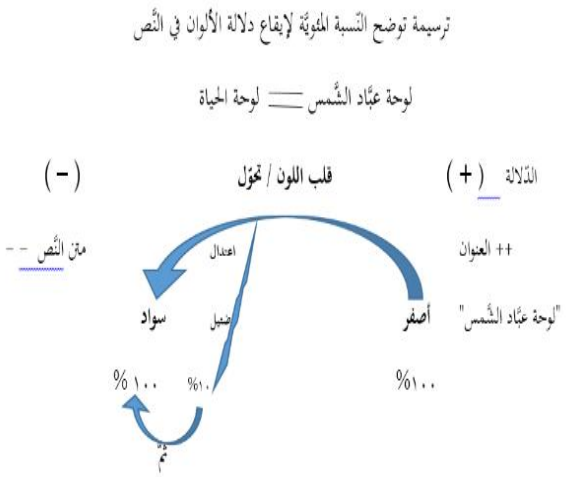

الترسيمة الآتية:

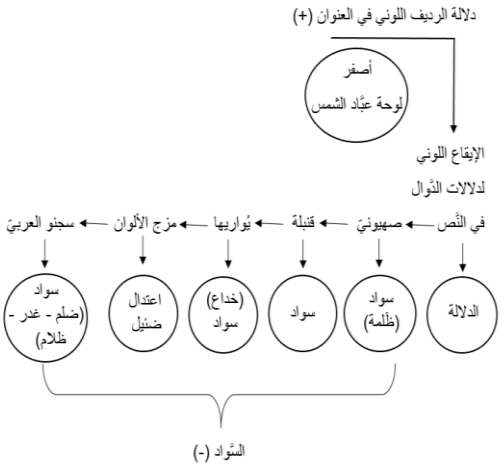

فعنوان النّص تبدّى صورة جميلة في ذهن المتلقي، ثم اصطدم بأوّل كلمة في المطلع (صهيونيّ) فأظلمت نفسيّته، وأيقظته لواقعه من خلال المقابلات المتوازية، والتحوّل اللوني، والإقرار باستمراريَّة النّهاية المكرورة (السَّواد)، طالما حماة الأمن الدّوليّ (يهوون)، ووكالات الفيتو (تعشق)، والعربيّ (مسجون)، والتُّهمة ثابتة. فلوحة عبّاد الشّمس هي لوحة الحياة، وأقراصها المستديرة ترمز إلى دائرة الحياة.

الخاتمة:

أثر الظلال اللونيَّة بزهراتها في العنوان وعلاقتها بالنّص في منظومة الأزهار: من الجليّ للنظر أنَّ علاقة دلالة العنوان الظاهريَّة بالنّص علاقة عكسيَّة؛ فالعنوان يومئ بإيجابيَّة دلالاته، حتى إذا ما استُنطقت أغوار النّص وفضّت دلالاته فوجئ المتلقي بالدلالات العكسيَّة لما في العنوان. فالنّص هو انعكاس عكسيّ للدلالة الإيجابيَّة الظاهريَّة في العنوان.

قائمة المراجع:

أوّلًا: المراجع العربيَّة

عمر، أحمد مختار. (1997م). **اللغة واللون**. القاهرة: عالم الكتب. ط2.

عمر، أحمد مختار. (2008م). **معجم اللغة العربية المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب. ط1.

هندي، أشجان. (2010م). **ريق الغيمات**. الرياض: النادي الأدبي- بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ط1.

ثانيًا: المجلات العلميَّة

الجديع، خالد محمد. (1429هـــ). "سيمياء اللون في الشعر السعودي المعاصر"، **مجلة عالم الكتب**، مج29، ع5-6، (دار ثقيف: الربيعان، الجماديان).

ثالثًا: البحوث العلميَّة الجامعيَّة

حمدان، أحمد عبدالله محمد. (2008م). **دلالات الألوان في شعر نزار قباني**. رسالة ماجستير، نابلس- فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.

معمر، صديقة. (2009-2010م). **شعرية الألوان في النَّص الشعري الجزائري المعاصر فترة (1988-2007م)**. رسالة ماجستير، قسنطينة: جامعة منتوري.

رابعًا: المواقع الإلكترونيَّة

أحمد، زكريا. "نافذة على ثقافات العالم"، **مجلة الرافد** (دائرة الثقافة والإعلام الشارقة)، http://arrafid.ae/194p3.html.

البناي، فهد. "البنفسج.. سر الجمال والجاذبية"، http://www.alyaqza.com/fahd-albanai-ba.

حجازي، أحمد توفيق. "أثر الألوان على العقل والجسم"، موقع توفيق حجازي، http://tawfekhegazy.yoo7.com.

زحكا، قيصر. "نحو عالم أفضل/ لغة الألوان"، http://www.maaber.org/issue/october09/episte mology.

عبد محسن، حمودي. "البنفسج الأخير"، http://www.ahewar.org.

References

First: Arabic References

□Umar, Aḥ mad Mukhtār. (1997) **Al-lughah wa Al-lawn.** Al-Qāhirah: □Ālm al-kutb. 2nd ed.

Umar, Aḥ mad Mukhtār. (2008) **Mu□jam Al-lughah Al-□Arabiyyah Al-Mu□āṣ irah.** Al-Qāhirah: □Ālm al-kutb. 1st ed.

Hindī, □Ashjān. (2010) **Riyq Al-Ghiymāt.** Al-Riyāḍ : Al-Nādī Al-□Adabī – Baiyrūt, Ad-Dār Al-Baiyḍ ā□: Al-Markaz Al-Thaqāfī Al-□ Arabī. 1st ed.

Second: Scientific Journals

Al-Jadiy□, Khāld Muḥ ammad. (1429 H) **Siymiyā□ Al-lawn fī Al-Shi□r Al-Sa□udī Al-Mu□āṣ ir.** Majalat Ālm al-kutb, vol. 29, issue 5-6 (Dār Thaqīf: Ar-Ribiy□ān, Al-Jamādiyān).

Third: Scientific University Research

Ḥamdān, Aḥ mad □Abdullāh Muḥ ammad. (2008) **Dalālāt Al-□Alwān fī Shi□r Nizār Qabānī.** Master Thesis, Nābils - Falasṭ īnL Jāmi□t An-Najāḥ Al-Waṭ niyyah.

Mu□amr, Ṣ idiyqah. (2009-2010) **Shi□riyat Al-□Alwān fī An-Naṣ Ash-Shi□rī Aj-Jazā□irī Al-Mu□āṣ ir fatrat (1988-2007).** Master Thesis, Qisnṭ iynah: Jāmi□t Mantuwrī.

Fourth: Internet Websites

Aḥmad, Zakariyyā. **Nāfidhahʿlā Thaqāfāt Al-ʿĀlm,** Majat Ar-Rāfid (Dảirat Ath-Thaqāfah wa Al²Ilām Ash-Shāriqah) http://arrafid.ae/194p3.html

Al-Banāī, Fahad. **Al-Banafsij sir Al-Jamāl wa Al-Jādhbiyyah** http://www.alyaqza.com/fahd-albanai-ba

Ḥijāzī, Aḥmad Tawfīq.**ʾAthar Al²Alwānʿalā Al²ʿAql wa Al-Jism,** Mawqi Tawfīq Ḥijāzī http://tawfekhegazy.yoo7.com

Zaḥkā, Qayṣar. **NaḥūʿālamʾAfḍal / Lughat Al²Alwān,** http://www.maaber.org/issue/october09/episte mology

ʿAbd Muḥsin, Ḥamuwdī, **Al-Banafsij Al-ʾAkhīr**, http://www.ahewar.org